

التصوف والطرق الصوفية في الجزائر

مقدمة

لعبت الزوايا دورا مهما في المغرب العربي كله والجزائر خصوصا ، ويتجسد هذا في العصر الحديث قبل الأتراك وفي عهدهم. وفي الحقبة الاستعمارية فصارت الزوايا مؤسسات دينية واجتماعية لكل منها منهاج وطريقة معينة واذا كان معظمها له أصول شرقية فإن بعضها صار بالجزائر أصلا، وغلب صيته على مركزها الأم (مثل القادرية) العلاقة بين الطرق الصوفية والعثمانيين

كان التعاطي مع الطرق الصوفية من قبل العثمانيين على أنها جهات فاعلة وبالتالي التعامل معها شكل توافقا دون تصادم أو على الأقل حفظ التوازنات معها ويمكن القول بلغة معاصرة أن الطرق الصوفية كانت تمثل الحزب السياسي الذي له جمهوره (مريديه)فروعه وايراداته وكلمته اتجاه الأحداث الحاصلة ولذلك كانت السلطة العثمانية أو الفرنسية فيما بعد تأخذ ذلك بشكل جدي وله اعتبار هـ.

وبلغة سياسية أخرى يمكن القول أن ظاهرة الطريقة قد قلت من أثر العرش والقبيلة إذ يمكن أن تجمع عدة قبائل على أذكار أو طريقة واحدة⁽¹⁾ وهو مهم بالنسبة للخريطة السياسية والعلاقات القائمة بين القبائل وتجنيدتها ضد المحتل الفرنسي فيما بعد، أو إقامة السلم بين أعراس معينة أو ظاهرة التكتلات أو العلاقة مع السلطة الرسمية.

وللإشارة أن الظاهرة الصوفية كانت موجودة قبل العثمانيين وخاصة في ظل غياب سلطة زمنية تتكفل بأمور المجتمع والدفاع عن البلاد (بعد ضعف الزيانيين والحفصيين ..) ، ولذلك تحالف شيوخ الطرق الصوفية مع العثمانيين ضد التهديد الصليبي ، وحظيت هذه الطرق بالتشجيع العثماني لمصلحة مشتركة . فساهموا في بناء الزوايا والرباطات ، وأعفوا الشيوخ من الضرائب ولهم من الوجاهة والاحترام والوساطة .ولذلك عمت الطرق الصوفية ولا تكاد توجد منطقة إلا ولها طريقة وشيخ

¹ - محمد قنانش " الإيديولوجية السياسية للحركة الوطنية الجزائرية أو الحركة الوطنية بين عقيدة الإصلاح وروح الثورة "، مجلة التاريخ ، المركز الوطني للدراسات التاريخية ، النصف الأول من سنة 1986.

، وهي في الحقيقة ظاهرة عمت العالم الإسلامي ، حتى قال أبي زيد البسطامي " من لا شيخ له فشيخه الشيطان " ² .

وحتى المحتوى التعليمي كان يصب في الجانب الديني الروحي الصوفي :
مثل : الرسالة القشيرية ، وحكم ابن عطاء الله السكندري ، وإحياء علوم الدين ،
وقوت القلوب لأبي طالب المكي .

- انتشار الطريقة

- الطريقة التيجانية تأسست على يد الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد المختار التيجاني المولود بعين ماضي عام 1757م .

- منطقة نفوذ التيجانية وهي ذات نفوذ واسع داخل الجزائر وخارجها. وتنازعها جهات متعددة للهيمنة عليها ⁽³⁾ وفي الجزائر تتركز المنطقة الصحراوية كالواد والأغواط (عين ماضي وتوقرت (تماسين) ⁽⁴⁾ وبالتالي فإن كل الجزائر العامرة بالسكان كانت تتابها ظاهرة التواجد والهيمنة الطريقة . طبعاً ليس كونها ظاهرة سياسية فقط ولكن تمثل حركة ولاء وتدين ونمط عبادة وأذكار وأسلوب ارتباط وتأخي.

- الطريقة الشاذلية 658 هـ (1258م) نسبة إلى مؤسسها الشيخ أبو

الحسن علي الشاذلي المولود بمدينة سبتة الذي توفي في 1258م وتوفي بمصر

- الطريقة العيساوية (936 هـ / 1526م) وهي نسبة إلى الشيخ محمد

بن عيسى وأصولها تعود إلى مدينة فاس بالمغرب وهي فرع من

الشاذلية ، وعرف عنها الدروشة والصراخ والطبل والرقص وكثرة البدع

وكانت مقربة من العثمانيين ومعفاة من الضرائب

- الطريقة الشيخية (1630م) نسبة إلى الشيخ عبد القادر بن محمد

المشهور بسيدي الشيخ الحائز على البركة ، وربطوا نسبهم بالخليفة

² - عامر النجار ، الطرق الصوفية في مصر ، دار المعارف ، مصر ، 1986 ، ط3 ، ص

³ - مثل أسرة ابراهيم نياسا حالياً في نيجيريا.

⁴ - Ali Merad, le reformist musulman en Algérie de 1925-1940p 59.

أبو بكر ولذلك هناك من أطلق عليهم **بالبكرين والصدّيقين** ... وكانت تسيطر على منطقة البيض ثم توسعت إلى كل الغرب وحتى داخل المغرب وصار لها نفوذ كبير عبر الصحراء مما مكنها من نفوذ تجاري كبير ، وكانت تحضى بالاحترام من قبل العثمانيين لما لها من هيبة وشكيمة بين القبائل ومعفاة من الضريبة .

- الطريقة الحنصالية (1114 هـ / 1702م) نسبة إلى يوسف الحنصالي الذي نسب للمغرب ومنهم من نسبه لقسنطينة ، ومن أتباع هذه الطريقة أحمد **المبارك العطار الذي** اشتهر بكتاب حاضرة قسنطينة وكان أحد القائمين على الافتاء والتدريس بها ، وكانت تركز على الأوراد الفردية في الذكر كما عرفت بخلافها مع الحكم العثماني .

- الطريقة الكرزازية الأحمدية (تأسست على يد الشيخ أحمد بن موسى الحسني الإدريسي المتوفي في 1608) الذي أسس الزاوية في منطقة كرزازة بالجنوب الغربي الجزائري

- - الرحمانية تأسست في 1794 على يد محمد بن الحاج عبد الرحمان **القشتولي** الزاوي الأزهري (يطلق عليه عبد الرحمان بوقبرين) تنتشر بمنطقة القبائل أو زاوية بمختلف جهاتها (القبائل الكبرى والصغرى، تابلاط ، وسفوح جرجرة ، وتمتد حتى منطقة الحضنة، الجلفة وكذلك بشكل أقل في قسنطينة ، بسكرة ، سطيف، سوق اهراس) ولها أذكراها وأورادها التي يحلق حولها مرديها .

- الطبيبة والدرقاوية (ذات أصول مغربية) وتركزت في منطقة وهران ، تيارات ، مغنية عين الصفراء .

- الطريقة القادرية تأسست على يد الشيخ أبو صالح عبد القادر الجيلاني ذا

الأصول العراقية (نسبة الى منطقة جيلان بالعراق) (470هـ-562هـ⁵) (1078م-1167م) واشتهرت زاوية القيطنة قرب معسكر بانتمائها لهذه الطريقة.(6). وكان أول من نقل الطريقة للجزائر أبو مدين شعيب البجائي التلمساني الحسن الشاذلي صاحب الطريقة الشاذلية الذي ولد بالمغرب 593هـ والذي استقر بشاذلة بتونس ، وظل ينشرها في كل مكان أتيح له وتوفي في 656 هـ وكثر مريدي هذه الطريقة في عهده وهي فرع في الأصل من القادرية) ، ومن تلاميذه عبد السلام بن مشيش. (الذي كان مريبا لأ ثم نشر الطريقة أحد شيوخها المسمى الشيخ مصطفى بن مختار الغريسي بمعسكر سنة 1785م(7) ، وعرفت هذه الطريقة بالأذكار الجماعية وبالعلاقة الحميمة مع النظام العثماني لما لها من نفوذ واحترام في المشرق العربي ولدى السلاطين العثمانيين ولكنها لم تستمر لسوء العلاقة مع الطرق الصوفية عامة .

⁵ - هناك من ذكر وفاته في 561 هـ .

⁶ أبو القاسم سعد الله: مرجع السابق، ص 521.

⁷ أبو القاسم الحفناوي: تعريف السلف برجال الخلف، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1983ن ص 182.